العقل في القرآن الكريم

أ. غراب مصطفى
المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة

ملخص:

العقل هبة الله للإنسان وبه فضل وكرم عن سائر الكائنات ليتولى مهمة الخلافة في الأرض، بعد أن علمه الأسماء وزوده بالأدوات الحسية وقوة الإرادة والحرية؛ الشيء الذي تفتقده باقي الموجودات لأنها مسخرة لهذا الكائن البشري. ولم ينزل الدين إلا من بعد أن زاغ الإنسان عن المهمة التي أوكلت له ، وكثر الهرج والمرج فكانت رحمة الله به أن ينذره ويحذره بواسطة رسله وكتبه المقدسة وكان آخرها القرآن الكريم الناسخ لجميع الشرائع السابقة وهو الفرقان الذي فرق بين الحق والباطل، وآياته محكمات بينت وفسرت حقيقة الخالق والمخلوق والحكمة من الخلق. لذا كان الخطاب القرآني يخص العقل كأداة للتدبر والتأمل والفهم والتفسير باستعمال الحجة والبرهان ، فالإيمان مبني على العلم والعلم يحتكم إلى العقل، فليس هناك تعارض بين العقل والنقل في الإسلام بل العلاقة بينهما في تكامل وتوافق، أما مرجعية تلك الخصومة المفتعلة فهي دخيلة وغريبة عن عقيدتنا الوسطية السمحة، أما المعارضون لهذه الحقيقة فسببه بعدهم عن فهم الخطاب القرآني.

الكلمات المفتاحية: العقل، الدين، الخطاب القرآني، التعارض، التكامل.

Abstract:

The mind is the God gift for human, which has honored and preferred for another creatures. God knowledge him names, give him the senses, the Will and freedom for construction the earth.

But after the conflict and dispute had spreading between peoples, God sent messengers in order to save humans for this corruption; by the holys books, which the holy Quran is the latest.

So, the discourse Qu'ranic calls the mind to consider, contemplate and search the truth, which has the most important of the mind and religion.

Key words : Mind, Religion, Discoure Qu'ranic, Conflict, Integration.

مقدمة:

إن جدلية العقل والدين دخيلة على الفكر العربي الإسلامي فمرجعيتها الأصلية تعود إلى الفكر الغربي المسيحي الحديث والمعاصر القائم على تلك الفلسفة المادية المحضة الرافضة إلى المرجعية الأخلاقية ولا تحتكم سوى للعقلانية المادية التي طبقت في مجال العلوم الطبيعية وذات المنهج الرياضي الكمي. فهذه النظرة المادية حولت الإنسان إلى آلة تعمل وفق غرائز أو قوانين آلية فسرته مدرسة التحليل النفسي الفرويدية الحيوانية أو نظرية التطور الداروينية .وكل هذا التحيز كان نتيجة تسلط الكنيسة في العصر الوسيط التي صادرت العقل خاصة في قضية الإيمان وكل ما يتناقض أو يشك في عقيدة الثالوث التي لا يستطيع أحد فهمها حتى رجال الدين أنفسهم، ولهذا فنحن نعذر ونؤيد فلسفة الأنوار التي قاومت وبشدة تلك الظلامية الدينية التي رفضت العلم وتوظيف العقل الذي يرفض الخرافة التي يقوم عليها الخطاب الديني المسيحي. وفي المقابل نشأت فلسفة مادية إلحادية أعلنت العداوة للدين وأصدرت شهادة وفاة الإله. لكن من المؤسف أن تنتقل هذه الإشكالية التي ارتبطت بالفكر الغربي المسيحي، إلى الفكر العربي الإسلامي ومحاولة تطبيقها على واقع أمتنان وكأن الدين واحد سواء كان المسيحية أو الإسلام. فهذا الخلط والتعدي لا ينبأ سوى عن جهل أصحابه وقصر نظرهم وعدم فهم أو فقه حقيقة الدين الإسلامي. وهذا ما أردناه أن نتناوله بالشرح والتحليل في هذا المقال ونوضحه إلى من هم في غفلة منه سواء من هم من أبناء جلدتنا وننقله حتى إلى أولئك الفلاسفة الغربيين الذين ثاروا على الكنيسة وهم محقين في ذلك ونصحح لهم موقفهم المتعصب ونعلمهم بوجود دين يعترف بالعقل ودوره في الحياة بل على العكس ما يعتقده الكثير لأن الدين الإسلامي مناط التكليف لا يستوي إلا بصحة القوى العقلية للإنسان.

قيمة العقل:

تعتبر مكانة العقل في الإسلام كبيرة فهو مناط التكليف ومن أعظم النعم والتشريف، به يميز بين النافع والضار. ويدرك به التكاليف الشرعية وواجباته تجاه الآخرين، وبذلك يحقق التوازن العادل في المجتمع على المستوى الخاص والعام.

ويعد العقل من الضرورات الخمس التي اتفقت جميع الشرائع والأعراف على حفظها وحرمت كل الأشياء المضرة والمخلة في التأثير على الإدراك والتمييز وبالتالي تثبت أو تنفي المسؤولية على أي فعل. فالعقل هو الوعي بحقيقة الأشياء من أجل تقويم السلوك واختيار الأصلح و الأنفع باستخدام البرهان على عكس الجهل التابع للهوى والكبر والتعصب والتقليد الأعمى والخرافات والأوهام والدجل.الإسلام يدعو إلى التفكير والتأمل سواء كان في نصوص الشرع لفهمها واستنباط الأحكام منها والعمل بها أو التفكر في الآيات الكونية الدالة على عظمة الله ووحدانيته. والآيات القرآنية كثيرة الداعية إلى النظر في سنن الكون كقوله عز وجل:﴿فَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ {17} وَإِلَى السَّمَاء كَيْفَ رُفِعَتْ {18} وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ {19} وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ{20} ...﴾[1]. ولو تدبرنا هذه الآيات الموجزة في كلماتها،كل واحدة منها تمثل علم قائم بذاته لم يكتمل ويستقل بموضوعه ومنهجه إلا في القرن الماضي . ولو سردنا كل الآيات التي تحث على العلم والبحث لتطلب منا ذلك إعداد مجلد وليس مقال، وعلى عكس من ذلك وبخ الذين يعطلون عقولهم ويتبعون أهواءهم فوصفهم بأشنع الصور فهم كالأنعام بل أشد لأن الأنعام ليست لها عقول ، أما هؤلاء فبالرغم من امتلاكهم هذه النعمة إلا أنهم أرادوا لأنفسهم السفه والدونية فبئس ما اختاروا.

قال عز وجل:﴿فَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلى قُلُوبٍ أَقْفالُها﴾[2].

وقال تعالى أيضا:﴿وَكَأَيِّن مِّنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾[3].

في هاتين الآيتين نجد مدى شدة اللوم والإنكار على الذين لا يستخدمون عقولهم ولا يعملونها في التدبر والنظر في الآيات وجميع المخلوقات الدالة على عظمة الله، مع أن الحجة والبرهان جلي وواضح مع استخدام قياس عقلي بسيط. فيقول عز وجل: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾[4].فالإسلام دين يدعو إلى العلم وفضل العالم على العابد فضل كبير، كما ورد في نصوص نبوية حول من سلك طريقا للعلم فقد سلك طريقا نحو الجنة، وأن طالب العلم فهو كالمجاهد في سبيل الله غلى درجة أن العالم المجتهد حتى وإن أخطأ فله أجر هو أجر الاجتهاد. نظرا للحاجة الماسة للمجتمع وما يتطلبه من حلول لمشاكله اليومية من حوادث ونوازل مستجدة عبر مختلف الأزمنة والأمكنة وفق قواعد وضوابط شرعية تتماشى مع فطرة الإنسان وعقله السليم، كما أن تركيز الإسلام على مبدأ الشورى هي دعوة صريحة للغة الحوار واختلاف الآراء أو كما نسميه بلغة البحث النقد البناء من أجل الوصول إلى الرأي الصواب. يقول عز وجل : ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾[5] فالإنسان مهما أتي من ذكاء وفطنة فلا يستطيع الإلمام بجميع جزئيات المعضلة فهو بحاجة لغيره، حتى النبي عليه الصلاة والسلام كان يشاور أصحابه ويأخذ برأي الواحد ومنهم في شؤون الحكم والحرب، ويقول لهم:" أنتم أدرى بشؤون دنياكم " في أمر ليس له فيها وحي ودراية.

علاقة العقل بالإسلام:

إن الخطاب القرآني هو خطاب عالمي كوني موجه للعالمين وليس خاص بملة دون أخرى؛ يقول الله عز وجل:" وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين "[6].

كما أن واقع الأمة الإسلامية يشهد على ذلك فهي احتضنت جميع الأجناس من غير العرب كالفرس والرومان واليهود والأتراك والأكرادوالأفارقة... ولم يكونوا مجرد أتباع أو مسلمين من الدرجة الثانية بل كانوا علماء و خلفاء وأمراء وقادة سجلوا أسماءهم من ذهب في إرساء دعائم الدولة الإسلامية.

قال الله تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ... ﴾.(7)

فالرسالة الإسلامية رسالة إنسانية تخاطب هذا الكائن العاقل خليفة الله على الأرض، وكل باقي الموجودات مسخرة لخدمته وقد زوده عزوجل بالأدوات الحسية التي يستعين بها في هذا العمار وأهمها نعمة العقل؛ لذا يعتبر العقل دليل العلم والعمل.

يقول الله في محكم تنزيله:﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾.(8)

الإيمان في الإسلام مبني على العلم، على عكس العقيدة المسيحية التي تأمر الإنسان بالإيمان ثم العقل وبما انه إيمان غير معقول أدى حتما إلى تعارض مع الحقائق العلمية نشأ عنه تلكالخصومة التي ثارت على الدين ورجاله.

التصور الإسلامي للكون هو تصور تكاملي متناسق الأجزاء بالرغم من التركيب التفاعلي في معانيه؛ السماء والأرض، الحياة والموت، المادة والروح، العلم والدين، العقل والنقل، الغيب والشهادة، الدنيا والآخرة...ليس تفاعل تضاد وتنافر بقدر ما هو تقابل تكامل وائتلاف على عكس الفكر الغربي ذو المنهج التحليلي بين أجزاء الكون ذا المرجعية اليونانية الوثنية القائمة على الصراع بين الإنسان والطبيعة وخرافة صراع الآلهة وتعددها ويرجع سبب هذا الضلال العقائدي لعدم وجود كتب سماوية عندهم فاعتمدوا على تفسيرهم العقلي فازدادوا ضلالا، ففي الفكر القديم تعامل الإنسان مع قوى الطبيعة وظواهرها بالتقديس والاستسلام لها إلى درجة العبادة وتقديم القرابين لها واعتقد فيها القدرة على الخلق والتدبير حسب ظروف المعيشة كالزراعة والتجارة والحربثم انتفض وأدرك أنه باستطاعته السيطرة وإخضاع هذه الظواهر والتحكم فيها باكتشاف النواميس التي تسير وفقها من خلال الملاحظة والتجربة فتغيرت نظرته تجاهها من الخضوع إلى التحدي والتمرد ورفض كل سلطة تحد من حريته وتطوره، كما حدث مع الكنيسة التي

مارست سلطة الوصاية والوسيط بين الخالق والمخلوق، وفعلا لم تنطلق الحضارة الغربية إلا من خلال كسر تلك القيود لأنها تمثل الجهل والاستغلال تحت عباءة الإيمان فظهر عدد من الفلاسفة اخذوا موقفا معاديا للدين نذكر منهم:

– **دولباخ (1723–1789م)**: وهو فيلسوف مادي من القرن الثامن عشر، أنكر وجود الله وقال إن الطبيعة كل موحد لا يحتاج إلى اله وكان يتباهى بأنه العدو الشخصي للإله.[9]

– **نينتشه (1844–1900م)**: صاحب فلسفة القوة ويرى أن فكرة الإله خرافة اخترعها الإنسان لعجزه وضعفه، فلا إله إلا الإنسان [10] وقال في كتابه (هكذا تكلم زرادشت) موت الإله فيقول: " جميع الآلهة قد ماتت "[11]

وغيرهم من أمثال ماركس ولينين وكونت. ولأن فكرة الله لا يمكن تجاهلها أو الاستغناء عنها لأنها موجودة بالفطرة لم تلك تلقى تلك الفلسفة الإلحادية المتطرفة قبولا إلا على مستوى أصحابها، فقد ظهر فلاسفة معتدلين لم ينكروا فكرة الإله أو ضرورة الإيمان إلا أن المشكلة تكمن في حصره في مجال معين هو الوجدان القلبي ليس له علاقة بميدان المعرفة البشرية، لأنه مجال خارج عن معنى العقل والتعقل، فالدين مثله مثل الأدب والفن قائم على معايير ذاتية لا تحتاج إلى براهين عقلية وأهم من مثل هذا الاتجاه نذكر منهم:

– **باسكال (1623–1662م)**: يقول:" إن القلب هو الذي يستشعر الله لا العقل، هذا الإيمان محسوس للقلب لا العقل".[12]

– **ايمانويل كانط (1724–1804م)**: العقل جزء عن البرهنة على الميتافيزيقا كمسألة وجود الله وحرية الإرادة وخلود النفس وهو أدمجها تحت الأخلاق أو كما يسميه " العقل العملي".[13]

– **برتراند رسل (1872–1970م)**: كان يرى أن الدين لا طائل منه ولا يفيد في حل المشكلات، وهو قائم على الإرغام وليس الإقناع العقلي، ويقول عن الفلسفة: " تشبه العلم في أنها تخاطب العقل أكثر مما تستند إلى الإرغام، سواء كان ذلك الإرغام صادرا عن قوة التقاليد أو قوة الوحي... ".[14]

– **جورج سنتيانا (1863–1952م)**: يقول عن الإيمان الديني أنه:" غلطة جميلة أكثر ملاءمة لنوازع النفس ومن الحياة نفسها".[15]

فهو يميل إلى الدين شعوريا ويكفر به عقليا ومن أجل الخروج من هذا الإشكال ألف كتابه الشهير(العقل في الدين) ، حيث وصل فيه إلى اللاأدرية[16] المظلمة ممتزجة بميل عاطفي إلى الدين.

ومن الأسباب التي دفعت فلاسفة الغرب إلى معاداة الدين وإبعاده عن ميدان المعرفة البشرية هو تسلط الكنيسة التي أقصت العقل وحاربت العلم والعلماء لأن العلم يكشف ويفضح تعاليمهم المزيفة التي تخدم مصالحهم الشخصية. لذا غدت كلمة الدين تعني العداوة لكل تفكير عقلي، ونحن نعذر هؤلاء الفلاسفة في موقفهم الإلحادي من الدين الكنسي ورهبانية الزور، لكن نختلف عنهم في تعميم الحكم نحو جميع الأديان وكان الأجدر بهم أن يكونوا منصفين وموضوعيين وهم المنتصرين للعقل فيكون حكمهم يخص الدين الذي عرفوه في بيئتهم ولا يتعدى إلى غيره دون دراية ودراسة.

أما الإشكال والجدال الواقع في بيئتنا الإسلامية من طرف أولئك الفلاسفة المحسوبين على أمتنا العربية الإسلامية في خصومتهم مع الدين والطعن في القرآن الكريم والنبوة وانتصارهم للعقل لم يكن له التأثير الكبير بالرغم من اعتلاء أصحابه المكانة المتميزة وقربهم من السلطة وبروز عبقريتهم في بعض العلوم كالطب والرياضيات والكيمياء وعلم الفلك وغيرها من العلوم الطبيعية ولا احد يستطيع أن ينكر ذلك، أما في مجال العقيدة فقد انحرفوا انحرافا خطيرا لدرجة أن الكثير منهم لقي السخط والسجن والعذاب، ومنهم من قتل شر قتلة لأن الدولة الإسلامية بالرغم من انفتاحها على ثقافات الأمم الأخرى

حيث وصلت الفتوحات إلى أقصى حد من إفريقيا وآسيا ومشارف أوربا، لكن دستورها وشريعة حكمها لا يتجاوز الوحيين الشريفين الكتاب والسنة والويل كل الويل لمن يتطاول عليهما بمجرد الإشارة من شك وطعن فيهما، ولابأس من ذكر أهم أولئك الفلاسفة الذين مثلوا تيار الإلحاد في الفكر الإسلامي، ومن أهم هؤلاء المفكرين:

كما يذكرهم عبد الرحمن بدوي في كتابه" تاريخ الإلحاد في الإسلام" وهذا الإلحاد ليس بالمفهوم الغربي الذي يعني انكاروجود الإله، لكنه الحاد يخص التشكيك في فكرة النبوة ونجد هذا عند:

– **ابن الرواندي** (**827م–911م**): حيث شكك في النبوة، وأنكر الديانات السماوية وانتقد القرآن الكريم والسنة النبوية.

– **ابن المقفع** (**206هـ–242هـ/724م–759م**): صاحب كتاب "كليلة ودمنة"، وينقل عن الخليقة المهدي (158–169هـ) قوله: "لا توجد زندقة إلا ولها أصل في باب كتاب كليلة ودمنة". وبه اتهم بالزندقة ونكل به حتى الموت؛ (فصل يحكي فيه عن رحلة برزويه مع الأديان، فهو يشكك في صحة الدين الذي ورثه عن آبائه ثم يحاول أن يجد مطلبه في غيره إلى أن ينكر على أهل كل دين أنهم يتحزبون لإيمانهم الذي ولدوا عليه وورثوه عن آبائهم دون تفكير في صحة هذا المعتقد من عدمه، زيادة على أن أصحاب الديانات يتنابذون فيما بينهم، ولو أعمل أحدنا عقله لم يجد في أي منها ما يدعو للتسليم به دون غيره، ويتوصل في النهاية إلى أن يكتفي بحسن الخلق مع الناس ورد الأذى عنهم.

–**أبو بكر محمد بن زكريا الرازي**(**250هـ–311هـ/864م–923م**): له انجازات في الطب والكيمياء، وله كتابان: "في العلم الإلهي" و"مخاريق النبوة"، حيث شكك في النبوة واثبات التناقض في الكتب المقدسة في التوراة والإنجيل والقرآن، ويوجه طعنه إلى بقية الديانات الشرقية كالزرادشتيه والمانوية، ورأي الرازي في النبوة والأنبياء ينحصر في قيمة العقل، ففي رأيه أنه مادام الله قد منحنا العقل وميزنا به عن سائر خلقه وهيأ له

القدرة على اكتشاف الخير والشر، فما حاجةالإنسان لنبي يعلمه الشرائع والأخلاق... ثم أن لعقل الإنسان قدرة أيضا على معرفة الخالق من خلال النظر في خلقه فلا حاجة لإرسال نبي يعلم الناس طريق اللهكما يرجع سبب اختلاف الناس والتنازع فيما بينهم هو شرائع الأنبياء المختلفة والتي لا تتماشى مع الطبيعة الإنسانية ولها من القداسة ما يلزم الناس عدم الجدال والنقاش فيها.[17]

إلى جانب الرازي هناك فلاسفة آخرين كالفارابي وابن سينا الذين قالوا بأشياء لا تتماشى مع الآيات القرآنية كتفسير الخلق بنظرية الفيض والقول بقدم الكون وأزليته.

-أبو العلاء المعري (363هـ-449هـ/973م-1057م): يوصف بأنه شاعر العقل في تاريخ الأدب العربي، ويرى أن العقل كفيل بالتمييز بين الخير والشر دون الحاجة للدين. وقد تقلب بين الشك والإيمان، ولم يشك في وجود الله، كما يذكر طه حسين عنه: أن أبي العلاء المعري كان يسلم بوجود الله ويتحدث عنه بلسان العابد الزاهد الصادق في عبادته.وهناك مجموعة من الشعراء المجان كأبي نواس وعمر الخيام وغيرهما... عرفوا باستهانتهم بالأوامر الدينية وغلوهم في ربط السعادة الإنسانية بشهوات النفس ونزواتها.[18]

-زكي نجيب محمود: يقول: " ... ففي الدين الإدراكإيماني وليس برهانيا، إذا قيل لك هنا: أن الله موجود ففي إمكانك أن تصدق وتؤمن من غير أن تطلب برهانا على ذلك هذا الإيمان ، هكذا أيضا في الفن أو الأدب: تعطي لوحة أو قصيدة ، ففي لمعة البرق تتعلق بها أو تنفر منها...".[19] وفي الطرف المقابل هناك فلاسفة عرب ومسلمين من أصحاب الاعتدال والوسط في الحكم بين العقل والدين كالكندي الذي لقب ب"فيلسوف العرب" لأنه أول من تفلسف من العرب المسلمين، كذلك ابن رشد في الأندلس وأبي حامد الغزالي الذين لم يتجاوزا مبادئ الشريعة الإسلامية التي لا تمانع في إمعان العقل حتى في مسائل الإيمان. وألفوا رسائل كثيرة فيما يخص هذا الإشكال. حتى أن شيخ الإسلام ابن تيمية والذي يوصف عند الكثير بالتشدد والصرامة في فتاويه ، له

رسالة سماها "درء تعارض العقل والنقل" وحتى عندما انتقد المنطق الأرسطي كان نقده بناء ومؤسس على مبادئ عقلية ورأى أنه منطق شكلي لا يعبر عن حقيقة المعنى وقضاياه الكلية لا تصدق في جميع الأحوال خاصة بالمقارنة مع القياس الشرعي الأكثر دقة في جميع جزئياته لذا فالقضية الجزئية أصدق من القضية الكلية وهذا سبق فلسفي لم ينتبه إليه فلاسفة أوربا إلا بعد قرون، حيث صرح ديكارت أن المنطق الأرسطي جعل أوربا تتأخر لما يقارب قرنين.لأن الحق واحد هو غاية الشريعة وجميع العلوم الدنيوية، ورفض الفلسفة كان في جانبها الميتافيزيقي الذي يحمل الكثير من الضلال والكفر، أما الجانب الطبيعي العلمي فمن الواجب الأخذ به والاستفادة منه كالطب والرياضيات والهندسة والفلك ... وغيرها من العلوم التي تفيد البشرية وتساهم في رقيها وتقدمها.

وربما من أهم الأسباب والدوافع التي أدت لبعض فلاسفة الإسلام إلى تقديس العقل إلى درجة معاداة الدين يعود إما إلى جهلهم وبعدهم عن الدين الإسلامي وعدم فهم تعاليمه حتى وإن ادعوا أنهم مسلمين وإفراطهم في تأثرهم بالفلسفة اليونانية إلى درجة التقديس، ومهما يكون السبب فإنه من الأمانة العلمية والالتزام بالموضوعية في إصدار الأحكام كان عليهم بالبحث والدراسة الدقيقة للآيات القرآنية وفهم معانيها من خلال الاعتماد على أمهات الكتب في التفسير والعقيدة وأصول الفقه كي تتضح الصورة في الكلام عن الدين الإسلامي ومقارنته مع باقي الأديان. وليس مجرد إطلاقالأحكام جزافا دون تمحيص وتدقيق حول الموضوع، ومن المؤسف أن تأثرهم وانبهارهم بالفكر الغربي الإلحادي كان أكثر سيطرة على تكوينهم العلمي وقد شاركهم في ذلك المدارس الفكرية القديمة ومناهجها التي حادت عن الصواب والتي تحسب على الفلسفة الإسلامية كالمعتزلة والأشاعرة والمرجئة والقدرية والمتصوفة... وغيرها من الفرق الكثيرة والمتعددة، والتي ادعت أن غرضها الدفاع عن العقيدة الإسلامية بالحجج العقلية وفي مواجهة موجة الإلحاد ذات المنهج العقلي الصرف ، وكأن الدين الإسلامي في حاجة إلى هذا الاتجاه فكان طعنا آخر وإن حمل في ظاهره نوع من الايجابية ، فشهدت تلك الفترة الزمنية جدالا كبيرا

عقائديا وفلسفيا لدرجة الاقتتال بين المسلمين من أيام الفتنة الكبرى ومقتل خير الرجال من الصحابة والتابعين والعلماء الصالحين، وبالرغم من ذلك الزخم الكبير وجد من المسلمين من كان على الوسطية في الاعتقاد والاعتدال في منهج التفكير حتى في التعامل مع الفلسفة اليونانية آنذاك بداية مع "فيلسوف العرب" أبو إسحاق الكندي في المشرق وابن رشد في الأندلس، لكن التيار الجارف كان أقوى فقد كيد لهما ولقيا من الأذى والتضييق ما لم يشفع لهما خاصة في الجو السياسي آنذاك المحتقن بالعصبيات والاقتتال على السلطة الشيء الذي أدى إلى وأد العقل العربي الإسلامي، وأغلق باب الاجتهاد، لأن أصبح كل جديد يعنى معاداة ماهو كائن وينظر إليه محاولة لزرع الفتنة والشقاق، واستمر الأمر على ذلك الحال والمسلمون يكفرون بعضهم البعض ويقتتلون فيما بينهم غافلون عن كنوزهم العلمية التي أخذها علماء الغرب واستفادوا منها الكثير للخروج من ظلمات الجهل إلى عصر الأنوار وبناء صرح الحضارة من جديد وبها تسلطوا علينا كعقاب لنا على ما اقترفناه في حق علمائنا وفضلهم عليهم، وكأن لسان حالهم يقول[20] هؤلاء أداروا ظهورهم لطريق الحق والنور، فلا يستحقون إلا العبودية فلهم ذلك ولنا السيادة.

خاتمة:

إن مسألة النظر العقلي في نصوص القرآن الكريم أمر مشروع كما بينا سالفا في كثير من الآيات التي تدعو إلى إعمال العقل وتفضيل الذين يعقلون على الذين لا يعقلون، لأن قضية الإيمان في الإسلام تستند إلى العلم وإقامة الحجة والدليل، وليس ذلك الإيمان الوراثي المبني على التقليد وإتباععرف الآباء والأجداد لا يقبل فيه النقد والجدال، وهناك عدة آيات ورد فيها ذم أصحاب هذا المنهج المنافي للفطرة الإنسانية وسنة الكون القائم على مبدأ الحركة.العقل أداة للبحث والنظر من أجل فهم جميع الظواهر وتفسيرها حتى نصل إلى إدراك حقائق الأشياء وعللها على اختلاف طبيعتها؛ دينية كانت أو دنيوية، لأن الإسلام دين الوحدة والتوحيد، والدين واحد جاء من أجل خدمة الإنسان

وهديه إلى الطريق المستقيم في الدنيا التي هي جسر وممر عبور للآخرة. فالمفهوم الإسلامي للعقل ليس بالمعنى الغربي الإلحادي المادي، الذي يحصر دور العقل في كل ما هو محسوس وظاهر للعيان، فالشريعة الإسلامية قائمة على مبدأ العقل كشرط أساسي لعملية التكليف التي تقع على الإنسان كفرد مسؤول اتجاه ربه ونفسه وغيره وبذلك هو حجة له أو عليه في جميع أعماله.ومشكلة العالم الإسلامي اليوم تكمن في هذا الخمول العقلي ، واكتفينا بحجة الإيمان الذي لا يقبل العقل ليس في مجال الدين فحسب بل حتى في شؤون دنيانا، فأصبحنا أمة الاستهلاك بفتوى أن الله سخر لنا كل شيء حتى الذين يفكرون ويبدعون من الأمم الأخرى، فلما التعب والشقاء مادام كل جديد نحصل عليه ونملك ثمنه من الخيرات الظاهرة والباطنةالتي اجتبانا بها الله موجودة على أراضينا، وكانت النتيجة أن أصبحنا فريسة للأعداء وتبعا لهم، وسبب ذلك أننا عطلنا عقولنا واستغنينا عنها وتحولنا إلى أنعام التي لابد لها من سيد يرعاها .وعليه فإن ناقوس الخطر قد دق ولابد لنا من مراجعة جادة بعد كل هذا التضليل الذي عانينا منه لقرون خلت، خاصة مع بداية الألفية الثالثة وأمام تيار العولمة الجارف ن فالحق بين وكفانا من ذلك الجدال العقيم، لأن آيات القرآن الكريم صريحة في خطابها للعقل الإنساني كأداة للتفكير والنظر والتدبر من أجل الوصول إلى طريق الهداية الذي يشمل سعادة الدنيا والآخرة، وهذا يغنينا عن إتباع طريق الغواية من جدال ونزاع باسم فلسفات ومذاهب سفسطائية تبناها أصحابها لأغراض ذاتية وخدمة مصالح خاصة تخدم الأنا ولا يهمها نصرة حق أو إبطال باطل. فمن جملة ما استخلصناه من الخطاب القرآني الحث على معرفة الحق والالتزام به وهذا هو منطق العقل والدين.

الهوامش:

[1]- سورة محمد الآية 24.

[2]- سورة يوسف الآية 105.

[3]- سورة طور الآية 35.

(4)– سورة الأنبياء الآية 107.

(5)– سورة الشورى الآية 38.

(6)– سورة فاطر الآية 28.

(7)– عزمي اسلام، مدخل إلى الميتافيزيقا، مكتبة يعيد رأفت، عام 1977م، ص 115.

(8)– سارة بنت عبد المحسن آل سعود، قضية العناية والمصادفة في الفكر الغربي المعاصر، دراسة نقدية في ضوء الاسلام.

(9)– عزمي اسلام، مدخل إلى الميتافيزيقا، ص 114.

(10)– عبد الرحمن بدوي، مدخل جديد إلى الفلسفة، وكالة المطبوعات، الكويت، الطبعة الثانية، 1979م، ص 214.

(11)– محمود رجب، الميتافيزيقا عند الفلاسفة المعاصرين، الطبعة الثالثة، 1998م، ص 21–29.

(12)– برتراند رسل، تاريخ الفلسفة الغربية، ترجمة: محمد فتحي الشنبيطي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1977م، ص 411.

(13)– أحمد أمين، وزكي نجيب محمود، قضية الفلسفة الحديثة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة: 1967م، ص 421.

(14)– زكي نجيب، أحمد أمين: محاورة طريقنا إلى الحرية ، عين الدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، الطبعة الأولى، 1994م، ص 134.

(15)- www.inre.dz.org- 2016-12-13.

(16)– اللاأدرية: مذهب يبحث في إمكانية معرفة والتأكد من وجود الله.

(17)(18)(19)- www.inre.dz.org-2016-12-13

(20)– اقتباس عن مفهوم القابلية للاستعمار عند مالك بن نبي الذي ورد في كتاب –شروط النهضة– 1948.

المصادر:

– القرآن الكريم.

المراجع:

– أحمد أمين، وزكي نجيب محمود، قضية الفلسفة الحديثة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة: 1967م.

– برتراند رسل، تاريخ الفلسفة الغربية، ترجمة: محمد فتحي الشنبيطي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1977م.

– سارة بنت عبد المحسن آل سعود، قضية العناية والمصادفة في الغربي المعاصر، دراسة نقدية في ضوء الإسلام.

– عبد الرحمن بدوي، مدخل جديد إلى الفلسفة، وكالة المطبوعات، الكويت، الطبعة الثانية، 1979م.

– عزمي إسلام، مدخل إلى الميتافيزيقا، مكتبة سعيد رأفت، عام 1977م.

– محمود رجب، الميتافيزيقا عند الفلاسفة المعاصرين، الطبعة الثالثة، 1998م.

– زكي نجيب، أحمد أمين: محاورة طريقنا إلى الحرية، عين الدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، الطبعة الأولى، 1994م.

-www.inre.dz.org-2016-12-13.